بحث بعنوان:

علاقة الأحرف السبعة بالمصحف العثماني

بين التوافق والتطابق

إعداد:

د. أحمد بن فارس السلوم

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد-جامعة الملك فيصل

كلية الآداب

ملخص البحث

يعنى هذا البحث بدراسة مسألة مهمة، تتعلق بالكتاب العزيز، من حيث نزوله على أحرف سبعة، كما ثبت وتواتر هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم، وبقاء هذه الأحرف بين الناس بعد أن نسخ عثمان رضي الله تعالى عنه المصاحف وأرسلها للأمصار، ذلك لأن القول في هذه المسألة إما أن يثبت بقاء الأحرف السبعة في زماننا أو ارتفاعها، ثم يدرس البحث العلاقة بين القراءات السبع المرتبطة بمصحف عثمان مع الأحرف السبعة، ويحصر الشبه الواردة على هذه المسألة ثم يجيب عليها، ويخلص إلى تحديد العلاقة الدائرة بين التوافق والتطابق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن القرآن الكريم قد نزل على سبعة أحرف، كما تواتر ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم[١]، وكان الناس يقرؤون بهذه الأحرف السبعة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته، يقرأُ كلٌّ بحسب ما سمع منه، أو قرأ عليه، لأنَّه من المتقرر عندهم أنَّ القراءة سنة متبعة[٢]، يأخذها الآخر عن الأول، امتثالاً لأمره صلى الله عليه وسلم أمته: بأن تقرأ كما عُلِّمَت[٣].

وبقي الحال على ذلك طيلة مدة الخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما، فلما كان في خلافة عثمان رضي الله عنه جمعَ الناسَ على مصحف واحد، وأمرهم أن يقرؤوا به، وأن يحرقوا كل ما خالفه من المصاحف والصحف التي بين أيديهم، واجتمع أمر المسلمين على هذه العزيمة من عثمان رضي الله تعالى عنه.

وقد اختلف أهل العلم في جمع عثمان رضي الله تعالى عنه، هل احتوى على الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، أم لا.

ولأهل العلم في ذلك مذاهب مختلفة، وتعليلات كثيرة، فأحببتُ أن أحقق هذه المسألة في هذا البحث، حيث إنني بعد البحث عبر شبكة الانترنت والمواقع المعتنية بعلوم القرآن والقراءات لم أجد من بحث هذه المسألة وبيَّن وجهها في بحث علمي محكم، يشفي الغليل، إنما هناك مقالات قصيرة، وفتاوى لبعض المواقع الالكترونية تقتصر على وجهة رأي المفتي بحسب ما يقتضيه حال المستفتي.

---

١ – نصَّ على تواتره أبو عبيد في فضائل القرآن ص٣٣٩.

٢ – رواه ابن مجاهد في السبعة عن زيد بن ثابت وعن غيره ص٤٩–٥٠.

ورواه البيهقي في الشعب (٢٦٧٩)، ثم قال: وقال سليمان –أحد رواة الحديث – : يعني ألا تخالف الناس برأيك في الاتباع .

ورواه المستغفري في الفضائل (٤٤٤) – (٤٤٦) عن زيد وغيره.

٣ –أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن صـ ١٨٢ ، وأحمد في المسند(٣٩٨١)، والطبري في تفسيره ١٢/١، والحاكم في مستدركه ٢٢٣/٢ وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد" ، وابن مجاهد في السبعة صـ ٤٧ ، ولفظه : عن عبد الله قال قال لنا علي بن أبي طلب رضي الله عنه إن رسول الله يأمركم أن تقرءوا القرآن كما علمتم .

على أنَّ هذه المسألة مهمةٌ جدًّا، والقول فيها إمَّا أنْ يثبتَ بقاء الأحرف السبعة أو ارتفاعها، ويترتب على القولين إشكالات وإلزامات، كما سنبينه في هذا البحث.

فهذا الذي دعاني للكتابة في هذا الموضوع، مع إدراكي لدقته، وصعوبة الترجيح فيه.

وقد عنونته بـ:

علاقة الأحرف السبعة بالمصحف العثماني ..بين التوافق والتطابق.

وإنما قدمت الأحرف السبعة في العنوان على المصحف العثماني لأنها أقدم منه، فقد كانت الأحرف السبعة أولاً ثم كان مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه.

أسئلة الدراسة:

١-ما هي علاقة الأحرف السبعة بالمصاحف التي انتسخها عثمان رضي الله عنه؟

٢-ما أهم ما يرد على الأقوال المذكورة في هذه المسألة؟

٣-ما هو القول الراجح في تحديد هذه العلاقة؟

٤-ما هي علاقة الأحرف السبعة بالقراءات السبع؟

٥-كيف نرد على الشبه المتعلقة بهذه المسألة؟

أهداف البحث:

١-عرض الأقوال الواردة في المسألة مع بيان أدلتها.

٢-بيان القول الراجح الذي تقتضيه الأدلة.

٣-كشف الشبهات الواردة على هذا القول.

٤-تحديد العلاقة بين هذه المسألة وبعض المسائل المتعلقة بها.

أهمية البحث:

تظهر أهمية هذا البحث من خلال ما يلي:

١-تلخيص الأقوال الواردة في العلاقة بين الأحرف السبعة والمصحف العثماني من جهة والقراءات السبع من جهة أخرى، مع بيان أهم الأدلة في ذلك.

٢-تزويد المكتبات العلمية المتخصصة في المدرسة القرآنية ببحث دقيق في مسألة يكثر دورها في كتب علوم القرآن، حيث تدرس على جهة العموم.

٣-تحقيق العلاقة الدقيقة بين الأحرف السبعة ومصحف عثمان رضي الله عنه .

الدراسات السابقة:

هذه المسألة من مسائل علوم القرآن، ولذلك فإن من مظانها كتب علوم القرآن عامة، ككتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي، والاتقان في علوم القرآن للسيوطي، ومناهل العرفان للزرقاني، ولكن دراستهم لها دراسة عامة كدراستهم لباقي مسائل علوم القرآن.

وعلى المنهج الشمولي نفسه نجد لهذه المسألة عرضًا في كتب أصول القراءات كالإبانة لمكي، ومنجد المقرئين وغيرها.

ولكني لم أجد بحسب البحث والاطلاع من أفرد المسألة ببحث علمي محكم، وقد استعنت ببحثي بمحركات البحث على الشبكة العنكبوتية.

منهج البحث:

اعتمدت على الجمع والاستنباط، حيث جمعت المادة العلمية، ثم استنبطت منها ما هو أوفق بأصول البحث العلمي.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وخاتمة، وثلاثة مباحث: المبحث الأول: تمهيد، وفيه:

١-كتابة عثمان رضي الله عنه القرآن في المصاحف.

٢-تعريف المصحف.

٣-عدد مصاحف عثمان رضي الله عنه.

المبحث الثاني: العلاقة بين الأحرف السبعة ومصحف عثمان رضي الله عنه ، وفيه:

١-سبب الخلاف.

٢-أقوال أهل العلم وأدلتهم.

٣-الراجح في هذه المسألة.

٤-شبهة تَرد على القول الراجح.

المبحث الثالث: العلاقة بين الأحرف السبعة والقراءات السبع، وفيه:

١-نشأة القراءات السبع.

٢-شبهة تفسير القراءات السبع بالأحرف السبعة.

٣-العلاقة بين مصحف عثمان رضي الله عنه والقراءات السبع.

٤-مذاهب العلماء في العلاقة بين الأحرف السبعة والقراءات السبع وبيان الراجح .

أسأل الله تعالى الإعانة والسداد، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: تمهيد

١- كتابة عثمان رضي الله عنه القرآن في المصاحف:

اشتهر بين المسلمين أنَّ عثمان رضي الله عنه جمع القرآن في مصحف، وأنه أول من سبق إلى ذلك، بينما كان جمع أبي بكر الصديق رضي الله عنه في صحف.

وقد كان السبب الباعث لجمع أبي بكر رضي الله عنه هو خوف ذهاب القرآن بذهاب حفظته لما استحر القتل في القراء في المواقع .

بينما كان السبب الباعث لجمع عثمان رضي الله عنه القرآن في مصحف هو قطع مادة الخلاف بين المسلمين لما صار كل من قرأ بحرف لا يعرف غيره ينكر حرف الآخر الذي يقرأ به.

والروايات تبين ذلك أتم بيان:

فقد أخرج البخاري في باب: جمع القرآن، من طريق: ابن شهاب عن عبيد بن السباق أن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إنَّ عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم} حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه.

ثم روى من طريق: ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه أنَّ حذيفة بن اليمان قدم على عثمان رضي الله عنهما وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

قال ابن شهاب: وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت قال: فقدتُ آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري{من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه} فألحقناها في سورتها في المصحف[٤].

فهذا الخبر يبين عدة أمور مهمة، منها:

١-سبب الجمع في عهد الخليفتين الراشدين والغرض منه.

٢-وكيف تم هذا الجمع.

٣-وفي أي شيء كتب.

وهي أمور مهمة لا بد من استذكارها ونحن نبحث هذه المسألة.

---

٤ - رواه البخاري في صحيحه (٤٩٨٦)-(٤٩٨٨).

٢-تعريف المصحف:

الصاد والحاء والفاء أصل صحيح يدل على انبساط في الشيء وسعة، يقال إنَّ الصحيف وجه الأرض، والصحيفة بشرة الرجل[٥] أهـ.

قال ابن فارس: ومن الباب الصحيفة، وهي التي يكتب فيها، والجمع صحائف، والصحف أيضا، كأنه جمع صحيف.

قال الراغب: والصحيفة: التي يكتب فيها، وجمعها: صحائف وصحف. قال تعالى: (صحف إبراهيم وموسى) [الأعلى/١٩]، (يتلو صحفا مطهرة * فيها كتب قيمة) [البينة/٢ - ٣]، قيل: أريد بها القرآن، وجعله صحفا فيها كتب من أجل تضمنه لزيادة ما في كتب الله المتقدمة. والمصحف: ما جعل جامعا للصحف المكتوبة، وجمعه: مصاحف، والتصحيف: قراءة المصحف وروايته على غير ما هو لاشتباه حروفه اهـ[٦].

وفي الاصطلاح:

فهو اسم للكتاب الذي جمع بين دفتيه القرآن الكريم من أوله إلى آخره، مرتب السور والآيات، على ما كان في الجمع الذي قام به عثمان رضي الله عنه للقرآن الكريم.

فهو اسم للمداد والورق والجلد الذي يحوي القرآن كاملا[٧].

٣-عدد المصاحف التي كتبها عثمان رضي الله عنه:

اختلف أهل العلم في عدد المصاحف التي كتبها عثمان رضي الله عنه وأرسل بها للأمصار، وقد بني على هذا الاختلاف شيء لطيف، وهو: أنه كان من منهج بعض العلماء أن يسمي كتابه في القراءات

---

٥ - معجم مقاييس اللغة ٣/٣٣٤.

٦ - مفردات غريب القرآن ١/٥٦٨.

٧ -هذا ما اختاره الباحث محمد الطاسان في كتابه: المصاحف المنسوبة للصحابة ص٢٢، وأحال إلى : التجريد لنفع العبيد ١/٤٧، ودراسات في علوم القرآن للرومي ص٣٠، وهو تعريف حسن جامع.

بحسب العدد الذي يعتقده في المصاحف، فألف العلامة ابن جبير كتاب الخمسة[٨]، بينما ألف ابن مجاهد كتاب السبعة.

قال السيوطي: وقد صنف ابن جبير المكي قبل ابن مجاهد كتابا في القراءات فاقتصر على خمسة اختار من كل مصر إماما وإنما اقتصر على ذلك لأن المصاحف التي أرسلها عثمان رضي الله عنه كانت خمسة إلى هذه الأمصار، ويقال: إنه وجه بسبعة: هذه الخمسة ومصحفا إلى اليمن ومصحفا إلى البحرين، لكن لما لم يسمع لهذين المصحفين خبر، وأراد ابن مجاهد وغيره مراعاة عدد المصاحف استبدلوا من مصحف البحرين واليمن قارئين كمل بهما العدد اهـ[٩].

وخلاف العلماء في عدد المصاحف دائر بين الأربعة والسبعة.

فقال الإمام الداني : أكثر العلماء على أن عثمان رضي الله عنه لما كتب المصاحف جعله على أربع نسخ وبعث إلى كل ناحية واحداً ، الكوفة والبصرة والشام وترك واحداً عنده ، وقد قيل : أنه جعله سبع نسخ وزاد إلى مكة وإلى اليمن وإلى البحرين ، قال : والأول أصح وعليه الأئمة[١٠].

وقال أبو حاتم السجستاني : كتب عثمان رضي الله عنه سبعة مصاحف : بعث واحدًا إلى مكة وآخر إلى الشام وآخر إلى اليمن وآخر إلى البحرين وآخر إلى البصرة وآخر إلى الكوفة وحبس بالمدينة واحدًا[١١].

هذا وقد نظم الشاطبي ذلك لقوله:

وسار في نسخ منها مع المدني كوف وشام وبصر تملأ البصرا

وقيل مكة والبحرين مع يمن ضاعت بها نسخ في نشرها قطرا[١٢]

---

٨ – أحمد بن جبير بن محمد بن جعفر بن أحمد بن جبير أبو جعفر وقيل أبو بكر الكوفي نزيل انطاكية، كان اصله من خراسان سافر إلى الحجاز والعراق والشام ومصر ثم أقام بانطاكية فنسب إليها كان من أئمة القراءة، وممن تلمذ على الكسائي، والف الخمسة في القراءات، توفي سنة ثمان وخمسين ومائتين يوم التروية (غاية النهاية ١٨/١). .

٩ – الاتقان ٢٧٥/١.

١٠ – المقنع وعنه الزركشي في البرهان ٣٣٤/١

١١ – التبيان في آداب حملة القرآن ١١٠، والاتقان للسيوطي .

١٢ – الوسيلة إلى كشف العقيلة للسخاوي ص٧٤.

وقد تتبع بعض الباحثين الروايات فتوصل إلى أنَّ هناك من رأى المصحف الإمام الذي أبقاه عثمان رضي الله عنه عنده، ومنهم من رأى المصحف الكوفي، والمصحف المكي والمصحف الشامي.

ولم يجد ذكرًا لباقي المصاحف[١٣].

قال الزرقاني: والمفهوم على كل حال أن عثمان رضي الله عنه قد استنسخ عددًا من المصاحف يفي بحاجة الأمة وجمع كلمتها وإطفاء فتنتها، ولا يتعلق بتعين العدد كبير غرض فيختلفوا في هذا التعيين وما وسعتهم أدلة ذاك الاختلاف، والله تعالى أعلم بالحقيقة [١٤].

---

١٣ – المصاحف المنسوبة للصحابة ص٧٢.

١٤ – مناهل العرفان ٢٧٨/١.

المبحث الثاني: العلاقة بين الأحرف السبعة ومصحف عثمان رضي الله عنه

يتداخل في كتابة بعض الباحثين العلاقة بين الأحرف السبعة وبين مصحف عثمان رضي الله عنه مع كلام العلماء عن العلاقة بين الأحرف السبعة وبين القراءات السبعة.

نعم بينهما تلازم كما سيتبين ذلك، ولكن بين هذا وذاك فرق.

وقد اختلف العلماء في تحديد هذه العلاقة بين الأحرف السبعة ومصحف عثمان رضي الله عنه ، وقبل أن أذكر أقوالهم لا بد أن نعرج على سبب الخلاف في هذه المسألة.

١-سبب الخلاف:

على شهرة حديث الأحرف السبعة إلا أنه قد اختلف العلماء في تحديد معنى هذه الأحرف السبعة اختلافاً شديدًا، لم ينقل مثله في شرح حديث آخر، ولذلك عدّه بعضهم مِنَ المشكل الذي لا يَعلم معناه إلَّا قائله، ومما ينبغي للعالم السكوت عنه.

فقال الحافظ السيوطي في ألفية الحديث[١٥]:

| ومنه ذو تشابه لم يعلم تأويله فلا تكلم تسلم
| مثل حديث إنه يغان كذا حديث أنزل القرآن

وذكر في الإتقان[١٦] نحوًا مِنْ أربعين قولًا ثم ختم بقوله: قال المرسي: هذه الوجوه أكثرها متداخلة ولا أدري مستندها ولا عمن نقلت، ولا أدري لمَ خصّ كل واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكر، مع أنَّ كلها موجودة في القرآن، فلا أدري معنى التخصيص وفيها أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة اهـ.

ولا ريب أن تحديد العلاقة بين الأحرف السبعة ومصحف عثمان رضي الله عنه يختلف بحسب مفهوم العالِم للأحرف السبعة، فإنهم وإن لم يختلفوا في تعريف المصحف فإنهم اختلفوا في تعريف الأحرف السبعة.

---

١٥ - البيتان (٦٤٧، ٦٤٨).

١٦- ١/١٣١.

وقد نبه الزرقاني إلى هذا المعنى، وتنبه له، فقال: والتحقيق أن القول باشتمال المصاحف العثمانية على الأحرف السبعة كلها أو بعضها يتوقف على أمرين أحدهما تحديد المراد من الأحرف السبعة وثانيهما الرجوع إلى ما هو مكتوب وماثل بتلك المصاحف في الواقع ونفس الأمر [١٧].

٢-أقوال أهل العلم وأدلتهم:

العلاقة بين الأحرف السبعة والمصحف العثماني لا تخرج عن ثلاثة أقوال:

الأول: أنَّ المصحف نسخ على حرف واحد، وهو مقتضى كلام الإمام ابن جرير.

فإنَّه قال: والآثار الدالة على أن إمامَ المسلمين وأميرَ المؤمنين عثمانَ بن عفان رحمة الله عليه، جمع المسلمين – نظرًا منه لهم، وإشفاقًا منه عليهم، ورأفة منه بهم، حِذارَ الردّةِ من بعضهم بعدَ الإسلامَ، والدّخولِ في الكفر بعد الإيمان، إذ ظهر من بعضهم بمحضَره وفي عصره التكذيبُ ببعض الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، مع سماع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم النهيَ عن التكذيب بشيء منها، وإخباره إياهم أنّ المِراء فيها كفر- فحملهم رحمةُ الله عليه – إذْ رأى ذلك ظاهرًا بينهم في عصره، ولحَدَاثة عهدهم بنزول القرآن، وفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بما أمِنَ عليهم معه عظيم البلاء في الدين من تلاوة القرآن – على حرف واحد .

وجمعهم على مصحف واحد، وحرف واحد، وخَرَّق ما عدا المصحف الذي جمعهم عليه. وعزم على كل من كان عنده مُصحفٌ مخالفٌ المصحفَ الذي جمعهم عليه، أن يخرقه ، فاستوسقتْ له الأمة على ذلك بالطاعة ورأت أنّ فيما فعلَ من ذلك الرشدَ والهداية، فتركت القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها إمامُها العادلُ في تركها، طاعةً منها له، ونظرًا منها لأنفسها ولمن بعدَها من سائر أهل ملتها، حتى دَرَست من الأمة معرفتها، وتعفت آثارها، فلا سبيلَ لأحد اليوم إلى القراءة بها، لدثورها وعُفُوِّ آثارها، وتتابعِ المسلمين على رفض القراءة بها، من غير جحود منها صحتَها وصحةَ شيء منها ولكن نظرًا منها لأنفسها ولسائر أهل دينها، فلا قراءة للمسلمين اليوم إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيقُ الناصحُ، دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية[١٨].

---

١٧ – مناهل العرفان ١/١١٩.

١٨ – تفسير ابن جرير ١/٦٤.

وتابعه على ذلك مكي بن أبي طالب القيسي، وقال: كان المصحف قد كتب على لغة قريش على حرف واحد ليزول الاختلاف بين المسلمين في القرآن ولم ينقط ولا ضبط فاحتمل التأويل لذلك، وإذا كان المصحف بلا اختلاف كتب على حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن وعلى لغة واحدة والقراءة التي يقرأ بها لا يخرج شيء منها عن خط المصحف فليست اذا هي السبعة الأحرف التي نزل بها القرآن..أهـ[١٩].

ثم إنه كرر حجة ابن جرير نفسها فقال: إنما جمع عثمان الناس على المصحف ليزول الاختلاف فصح من ذلك أن الذي يقرأ به الأئمة وكل ما صحت روايته مما يوافق خط المصحف إنما هو كله حرف من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن وافق لفظها على اختلافه خط المصحف، وجازت القراءة بذلك، إذ هو غير خارج عن خط المصاحف التي وجه بها عثمان إلى الأمصار وجمعهم على ذلك وسقط العلم بما يخالف خط المصحف من الأحرف السبعة بالإجماع على خط المصحف..

إلا انه خالف ابن جرير بعض المخالفة نظراً لاختلافهما في تحديد معنى الأحرف السبعة، فقال مكي في تتمة كلامه السابق:

فالمصحف كتب على حرف واحد وخطه محتمل لأكثر من حرف إذ لم يكن منقوطاً ولا مضبوطاً فذلك الاحتمال الذي احتمل الخط هو من الستة الأحرف الباقية..[٢٠].

ولا حجة لهؤلاء إلا العلة التي من أجلها كتب عثمان رضي الله عنه المصحف، وهي حسم مادة النزاع بين المسلمين، ولما كان سبب النزاع بينهم هو الأحرف السبعة والرخصة في القراءة عليها، لا يكون حسم الخلاف إلا بإلغاء الأحرف الستة والاكتفاء على حرف واحد.

قال الطحاوي: وكانت هذه السبعة للناس في هذه الحروف في عجزهم عن أخذ القرآن على غيرها مما لا يقدرون عليه لما قد تقدم ذكرنا له في هذا الباب وكانوا على ذلك حتى كثر من يكتب منهم وحتى عادت لغاتهم إلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرءوا بذلك على تحفظ القرآن بألفاظه التي نزل بها فلم يسعهم حينئذ أن يقرءوه بخلافها وبان بما ذكرنا أن تلك السبعة الأحرف إنما كانت في وقت

ونقله الشيخ مناع القطان في مباحث في علوم القرآن ١٣٢ مقرا له.

١٩ – الابانة ص٢٣

٢٠ – الابانة ص٢٤

خاص لضرورة دعت إلى ذلك ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد أهـ[٢١].

القول الثاني: إنّ المصحف نسخ على الأحرف السبعة كلها.

وهو قول ابن الباقلاني، فإنَّه قال: الصحيح أن السبعة استفاضت وضبطتها الأمة وأثبتها عثمان رضي الله عنه في مصحفه أهـ[٢٢].

وانتصر له الشيخ الزرقاني[٢٣]، وأطال في ذلك.

وينسب هذا القول لطوائف المتكلمين والفقهاء[٢٤].

ووصفه المهدوي بقوله: هذا مذهب حسن يعضده النظر وتوافقه الأصول أهـ[٢٥].

ولهؤلاء أدلة منها:

١-الواقع بين المصاحف، فإنَّ بينها اختلافًا، ففي بعضها مثلا زيادة وفي بعضها نقص، وهذا لا شك من الاختلاف الداخل في الأحرف السبعة.

٢-ومنها أنه لا يجوز للأمة تضييع شيء من الأحرف، لأنَّ هذه الأحرف قرآن، والقرآن محفوظ لا يضيع، قال تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإن له لحافظون).

ولذلك فإن القائل بهذا القول لا يفرق بين القراءات والقرآن.

٣- ومنها «أن الصحابة أجمعوا على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك ومعنى هذا أن الصحف التي كانت عند أبي بكر جمعت الأحرف السبعة ونقلت منها المصاحف العثمانية بالأحرف السبعة كذلك»[٢٦].

---

٢١ - شرح مشكل الآثار ١٢٥/٨

٢٢ - القواعد والإشارات ص٢٨، ٣٣.

٢٣ - مناهل العرفان ١١٨/١.

٢٤ - انظر نكت الانتصار ٣٧٧، فتاوى ابن تيمية ٣٩٥/١٣.

٢٥ - بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات ص١٢٣.

قال المهدوي: وقالوا: إنما نسخَ عثمان رضي الله عنه الصحفَ التي كانتْ عند حفصة التي جمعها أبو بكر ، لم يزد فيها ولا نقص منها أهـ[٢٧] .

هذا ويعد الزرقاني أكثر من انتصر لهذا القول، إلا انه بيَّن أنَّ مرادَه أنَّ المصاحف العثمانية قد اشتملت على الأحرف السبعة كلها ولكن على معنى أنَّ كل واحد من هذه المصاحف اشتمل على ما يوافق رسمه من هذه الأحرف كُلاًّ أو بعضًا بحيث لم تخل المصاحف في مجموعها عن حرف منها رأسًا [٢٨].

ثم طفق بيانًا لاختلاف المصاحف العثمانية في أوجه اختلاف اللغات التي ذكرها أهل العلم في تفسير الأحرف السبعة، كالاختلاف بالجمع والإفراد، والتذكير والتأنيث إلى آخر هذه الأوجه.

ونلاحظ هنا كيف أنَّ مفهوم هؤلاء للأحرف السبعة أثر عليهم في اختيار هذا القول، وقد قدمنا أنَّ سبب الاختلاف في هذه المسألة اختلافهم في معنى الأحرف السبعة.

هذا، وإن الذين يقولون باشتمال المصحف على الأحرف السبعة يلزمهم أمور:

الأول: أنَّ القراءات الموافقة للمصحف هي الأحرف السبعة، سواء السبع منها أو العشر، وهذا قول ينسبه العلماء إلى العوام ، وسيأتي بيان بطلانه.

الثاني: أنَّ القراءات المخالفة لرسم المصحف ليست من الأحرف السبعة، وهذا بيَّن البطلان، فإنه يلزم منه أنَّ قراءات الصحابة رضوان الله عنهم خارجة عن الأحرف السبعة، وأنهم كانوا يقرؤون القرآن بغير

---

٢٦ – مناهل العرفان ١/١١٨.

٢٧– بيان السبب الموجب لاختلاف القراءت وكثرة الطرق والروايات ص١٢٣.

لا نشك أن عثمان اعتمد في نسخ المصحف على الصحف التي كتبها أبو بكر رضي الله عنهما، بدليل قوله في الحديث المشهور: فبعث عثمان إلى حفصة أن ارسلي الصحف لننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فهذا يبين أنه اعتمد عليها، ولكنه في الحقيقة بنى عليها، ولم يكتف بها، واتخذ منهجًا في كتابة المصحف قائمًا على اعتماد العرضة الأخيرة، والتنقيب عليها، بدليل أنهم اختلفوا في كتابة بعض الكلمات بين يدي عثمان، ولو كانوا اتبعوا صحف أبي بكر حذو القذة بالقذة لما اختلفوا فيها، وبدليل قول زيد: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) فألحقناها في سورتها في المصحف، ولا شك أن هذه الآية كانت في صحف أبي بكر إلا أن فقدان زيد لها في كتابة المصاحف محمول على فقدان المنهج المتبع.

وقد وقفنا على نصوص كثيرة عن السلف تفيد أن عثمان ومن معه حرصوا في كتابة المصاحف على اتباع العرضة الأخيرة، ولذا أقول لا يتم لهؤلاء استدلالهم.

٢٨ – مناهل العرفان ١/١١٩.

الأحرف السبعة، وهذا محال عليهم، فإن قراءة القرآن بغير الأحرف السبعة من الكذب والافتراء على الله بغير علم.

الثالث: أنَّه لا فائدة من صنيع عثمان وأصحابه رضي الله عنهم، فإنه لا شك أن سبب الخلاف الذي حصل بين المسلمين في القرآن هو القراءة على الأحرف السبعة، إذ كان كل واحد يقرأ بحرف يجهله الآخر، لأن الأحرف السبعة مما لا يكاد حصرها في صدر قارئ بعد الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولذا نقول إن هذا القول ضعيف، والواقع يرده، فإن القراءات -التي وردت بأسانيد صحيحة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضي الله عنهم قبل نسخ المصاحف -مما يخالف رسم المصحف كثيرة، وهي لا شك جزء من هذه الأحرف السبعة.

لكن لأصحاب هذا القول رد على هذه القراءات المنسوبة للصحابة، ذكره العلامة المهدوي فقال:

ثم اختلف الناس بعدُ في كيفية الحروف السبعة، هل يشتمل عليها المصحف التي اجتمعت عليه الأمة أو على بعضها ؟

فأشبه ما قيل في ذلك وأصحه قولان:

أحدهما: أنَّ المصحفَ قد اشتمل على جميع الحروف المنزل عليها القرآن، وأنَّ خطه محتمل لجميعها، وأنَّ جميع ما رُويَ مِنَ القراءات المخالفة للخط محمول على وجه التفسير، وَحَمَلَهُ الرُّواةُ عَلى أنَّهُ مِنَ التِّلاوة[٢٩].

وهذا تأويل ما ثبت به النقل، وأسقطوا من ذلك ما ضعف النقل فيه.

وقالوا: إنَّ هذا القرآنَ إنما هو منقول، نقل الكافة عن الكافة، فلا يجوز أنْ يُعارض بأخبارِ الآحاد التي لا توجب العلم.

وقالوا: لا يجوز أنْ يَمْنَع الصحابةُ الذين جَمَعُوا المصحفَ في قِرَاءةِ شَيءٍ قُبضَ النَّبي صلى الله عليه وسلم وهو يُقرأ، ويجمعوا مُصْحَفًا موافقًا لبعض الحروف التي نزل القرآن عليها مخالفًا لبعضها أهـ

---

٢٩ – يشير المصنف هنا إلى ما سُمِّي بالقراءات التفسيرية، وهي ما روي عن بعض السلف مِنْ إدراج كلمات في آيات تفسر ما أبهم فيها.

ولا يخفى ما فيه من النظر، فإن كونها لم تثبت عندنا قرآنا لا يعني أنها كانت عندهم قرآنا، فالصحابة أخذوها عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة، وقرؤوا بها دهرا طويلا، فلا يصح أن يقال بعد ذلك إنها لم تكن قرآنا، مثال ذلك:

ما روى البخاري في باب مناقب عمار وحذيفة، من طريق إبراهيم عن علقمة عن أبي الدرداء قال له: كيف يقرأ عبد الله {والليل إذا يغشى}، فقرأت عليه {والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى قال والله لقد أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيه إلى في[٣٠].

فهل كان الذي أخذ سبعين سورة من في رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن مسعود رضي الله عنه، مخطئا في هذه القراءة، وهل كان أبو الدرداء كذلك؟ كلا وحاشا.

القول الثالث: إنَّ المصحف نسخ على بعض الأحرف.

وهو قول المحققين من أهل العلم.

ونسبه المهدوي لكثير مِنْ أهل العلم[٣١].

بل قال الزرقاني: وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أنَّ المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي على جبريل متضمنة لها[٣٢].

قال العلامة ابن الجزري: إنَّ المصاحف العثمانية لم تكن محتوية على جميع الأحرف السبعة التي أبيحت بها قراءة القرآن، كما قال جماعة من أهل الكلام وغيرهم، بناء منهم على أنه لا يجوز على الأئمة أن تهمل نقل شيء من الأحرف السبعة..

---

٣٠ – صحيح البخاري (٣٧٤٢)، ومسلم (٨٢٤).

٣١ – بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات ص١٢٤.

٣٢ – مناهل العرفان ١/١١٨.

قال: لأننا إذا قلنا إن المصاحف العثمانية محتوية على جميع الأحرف السبعة التي أنزلها الله تعالى كان ما خالف الرسم يقطع بأنه ليس من الأحرف السبعة وهذا قول محظور، لأنَّ كثيرًا مما خالف الرسم قد صح عن الصحابة رضي الله عنهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم [٣٣]..

وهذا القول هو الراجح الصحيح، ويؤيده الواقع.

واستدل له العلامة المهدوي بغرض عثمان رضي الله عنه من الكتابة، وهو حسم مادة الخلاف، وقال: وذهبَ كثيرٌ مِنْ أهل العلم إلى أنَّ المصحفَ غَير مشتمل على جميع الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن، وإنما اشتملَ على بعضها، وذلك البعض جُزءٌ مِنْ جملتها، غير محدود بحرفٍ أو حرفين أو ثلاثة، أو أكثر منها.

وأنَّ هذا المصحف المجمع عليه قد مَنَعَ مِنَ القراءة بكل ما لا يحتمله خَطُّه، لِمَا رأى الصحابةُ في جَمْعِهِ والاقتصارِ عليه مِنَ الصلاحِ للأمة، حين وقع على عهد عثمان رضي الله عنه ما وقع في الاختلاف في القرآن..فذكر القصة، ثم قال: فكان في مصحف ابن مسعود وغيره خلافٌ كثيرٌ لهذا المصحفِ المجْمَعِ عليه، وكلُّ ذلك مِنْ جُملة الحروف التي نزل عليها القرآن[٣٤]، فلما اجتمع رأيُ الصحابة على الاقتصار على هذا المصحف؛ لِمَا رأوا في ذلك مِنَ الصلاح، وأنفذوا النسخَ منه إلى الأمصار –والناسُ حينئذٍ يقرأون كما أُقرئوا– قرأ كل مِصر من القراءات التي كانوا عليها مَا وَافَقَ رَسمَ مِصحفِهم، وتركوا القراءة بما خالفه.

فإنَّ احتمل رسمُ كلمةٍ أنْ تُقرَأَ على وجوه، والخط محتمل لها – كالوجوه المروية في ﴿ أرجه ﴾ [٣٥] و ﴿بعذاب بئيس﴾ [٣٦]، و﴿عبد الطاغوت﴾[٣٧]، وما أشبه ذلك– قرأوا بجميعها، إذ هي غير خارجة عن

---

٣٣ – منجد المقرئين ٢١.

٣٤– إنما خص ابن مسعود س بالذكر لأمرين، الأول: اشتهار شأن مصحفه وما فيه من مخالفة، وبيان هذا الاختلاف في المصاحف لابن أبي داود (٢٩٣/١) حيث أفرد فصلاً في مصحف ابن مسعود، والثاني: إنكاره قصة الجمع والكتابة واعتراضه على الكاتب، وأَمْرُه أصحابه أنْ يَغُلّوا مصاحفهم كما اشتهر ذلك عنه.
ولكن في نهاية الأمر رضي ابن مسعود وتابع، وفي شرح هذه الكائنة انظر: «فضائل القرآن» للمستغفري (٤١٣) – (٤٢٠)، «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٤٠/٣٣).

٣٥ – جاء في (أَرْجِئْهُ) ستة أوجه، قرأه أبو عمرو بهمزة ساكنة وضم الهاء، وقرأه ابن كثير وهشام بالهمزة وضم الهاء موصولة بواو، وقرأه ابن ذكوان بالهمزة وكسر الهاء، وقرأه عاصم وحمزة بإسكان الهاء مِنْ غير همز، وقرأه قالون بغير همز مع كسر الهاء، وقرأه ورش والكسائي بكسر الهاء موصولة بياء من غير همز، وإن أتبعتها (وأخاه) تصير سبعة أوجه؛ لأن هشامًا لا يوافق ابن كثير على صلة هاء أخاه «أحاسن الأخبار»، ص٤٨٠.

الرسم، وإنْ وجدوا قراءةً مخالفةً تركوها لإجماع الأمة على ذلك، والإجماع حجة وأصل مِنْ أصول الشرع، ولأنَّ النَّبي خ لما ذكر الحروف التي نزل عليها القرآن، قال: «فاقرأوا ما تيسر منه»، فأباح الاقتصار على بعضها، ولم يُلزمنا القراءة بجميعها، فصارت القراءة المستعملة بعد جمع الصحف إلى يومنا هذا على هذا القول بعض الحروف التي نزل عليها القرآن دون كلها .

واستدلوا على ذلك بالأخبار الصحيحة المروية في القراءات المخالفة لمرسوم المصحف، نحو: ﴿فطلقوهنَّ لقُبل عدتهنَّ﴾ [٣٨]، و﴿صِراط مَنْ أنعمتَ عليهم﴾ [٣٩]، و﴿جاءتْ سكرةُ الحقِّ بالموت﴾ [٤٠]، وما أشبه ذلك، وهو كثير، قد ثبتت به الرواية..[٤١] أهـ.

وفي هذا النقل عن المهدوي رد على شبهة ترد على هذا القول، وهي معدودة من أدلة القول الثاني ، وهذا ما سنذكره في المبحث التالي.

٤-شبهة تَرد على القول الراجح:

وهي كيف يجوز للأمة أن تنسخ المصحف على حرف واحد، وتترك ستة أحرف، ألا يعتبر هذا من تضييع القرآن، وعدم حفظه، والله عز وجل يقول: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون).

والجواب:

٣٦- في بئيس أوجه كثيرة، نحو (بِئْس)، و(بَيْئِس)، و(بَيْئَس) و(بائس) و(بيِّس) وغيرها، انظرها في «المحتسب» (١/٢٦٤، ٢٦٧)، والمقروء به منها أربعة أوجه، انظرها في «غاية الاختصار لأبي العلاء العطار» (٢/٥٠٠).

٣٧- ذكر ابن جني في هذا الحرف عشر أوجه «المحتسب» (١/٢١٤)، وذكر ابن خالويه تسع عشرة قراءة «شواذ القرآن» ص٢٣.

والمقروء به وجهان: (عَبُدَ الطاغوتِ) و(عَبَدَ الطاغوتَ).

٣٨- ذكرها في «المحتسب» (٢/٣٢٣) وهي إلى أنْ تكون قراءة تفسيرية أقرب.

٣٩- هي قراءة مروية بالإسناد الصحيح عن عمر س، رواها أبو عبيد في «الفضائل» (٢٣٢)، وابن أبي داود في «المصاحف» (١٤٣)—(١٤٩)، قال ابن كثير في «التفسير» (١/٢٨): إسناده صحيح. اهـ.

وبها كان يقرأ عبد الرحمن بن الأسود وأبوه وعلقمة وإبراهيم.

٤٠- هي قراءة مشهورة عن أبي بكر الصديق س، وبها كان يقرأ سعيد بن جبير «المحتسب» (٢/ ٢٨٣).

٤١ - بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات.

إنَّ هذه الآية دليل على أنَّ القرآن محفوظ، وهذا لا ريب فيه، لكن نزول القرآن إنما كان على حرف واحد، ثم نزلت الأحرف السبعة بعد ذلك رحمة وتخفيفًا، فكانت رخصة، فهل يقال إن القرآن لما كان على حرف واحد لم يكن قرآنًا ولم يكن محفوظًا؟

لا شك أنه كان قرآنا وكان محفوظا، فكيف وقد حفظت الأمة الآن بعض الأحرف وليس حرفًا واحدًا، لا شك أنها حققت الإرادة الربانية بحفظها لبعض الأحرف.

وقد ذكر هذه الشبهة الإمام ابن جرير ثم أجاب عليها، ولأنه أول من تعرض لها وأجاب عنها بحسب اطلاعي فسوف أنقل كلامه بنصه.

قال رحمه الله: فإن قال: فما بال الأحرف الأخَرِ الستة غير موجودة[٤٢]، إن كان الأمر في ذلك على ما وصفتَ، وقد أقرأهن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، وأمر بالقراءة بهنّ، وأنزلهن الله من عنده على نبيه صلى الله عليه وسلم؟ أنسخت فرُفعت، فما الدلالة على نسخها ورَفعها؟ أم نسيتهن الأمة، فذلك تضييعُ ما قد أمروا بحفظه؟ أم ما القصةُ في ذلك؟

قيل له: لم تنسخ فترفع، ولا ضيعتها الأمة وهي مأمورة بحفظها. ولكنّ الأمة أمرت بحفظ القرآن، وخُيِّرت في قراءته وحفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت كما أمرت، إذا هي حَنثتْ في يمين وهي مُوسرة، أن تكفر بأيِّ الكفارات الثلاث شاءت: إما بعتق، أو إطعام، أو كسوة. فلو أجمعَ جميعها على التكفير بواحدة من الكفارات الثلاث، دون حَظرها التكفيرَ بأي الثلاث شاءَ المكفِّر، كانت مُصيبةً حكمَ الله، مؤديةً في ذلك الواجبَ عليها من حق الله فكذلك الأمة، أمرت بحفظ القرآن وقراءته، وخُيِّرت في قراءته بأي الأحرف السبعة شاءت: فرأت – لعلة من العلل أوجبتْ عليها الثباتَ على حرف واحد– قراءتَهُ بحرف واحدٍ، ورفْضَ القراءة بالأحرف الستة الباقية، ولم تحْظُرْ قراءته بجميع حروفه على قارئه، بما أذن له في قراءته به اهـ[٤٣].

---

٤٢ –إنما قال: الأحرف الستة، لأن مذهبه أن المصحف نسخ على حرف واحد، وقد بينا ذلك.

٤٣ – تفسير الطبري ١/٥٩.

ومراده بالعلة: الاختلاف الذي وقع بين المسلمين في القراءة زمن عثمان رضي الله عنه.

وبمثل كلام ابن جرير قال صاحب المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ١٢٤.

المبحث الثالث: العلاقة بين الأحرف السبعة والقراءات السبع

١-نشأة القراءات السبع:

لا اختلاف بين أهل العلم أنَّ مصطلح القراءات السبع لم يكن معروفًا قبل ابن مجاهد، وأنَّ ابن مجاهد هو أول من سبع السبعة في كتابه المشهور: السبعة، وكان ذلك على رأس الثلاثمائة، فتبعه الناس على ذلك، وظهر مصطلح القراءات السبع.

وقد لخص الإمام الكبير أبو عبيد القاسم بن سلام تاريخ الإقراء وذكر رؤوس المقرئين في كل مصر وعصر، حتى انتهى إلى طبقة الكسائي، ثم قال:

والقراءة التي عليها الناس بالمدينة وبمكة والكوفة والبصرة والشام هي القراءة التي تلقوها عن أوليهم تلقياً، وقام بها في كل مصر من هذه الأمصار رجل ممن أخذ عن التابعين اجتمعت الخاصة والعامة على قراءته، وسلكوا فيها طريقه، وتمسكوا بمذاهبه، على ما رُوي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، وزيد بن ثابت ثم محمد بن المنكدر، وعروة بن الزبير وعامر الشعبي - رضي الله عنهم أجمعين-" أهـ[٤٤]..

قال أبو شامة: يعني أنهم قالوا إن القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول، فاقرؤوا كما علمتموه أهـ[٤٥].

قال علم الدين السخاوي: هذا الذي ذكره أبو عبيد رحمه الله يعرفك كيف كان هذا الشأن من أول الإسلام إلى آخر ما ذكره.

فلما كان العصر الرابع سنة ثلاثمائة وما قاربها كان أبو بكر بن مجاهد قد انتهت إليه الرئاسة في علم القراءة، وتقدم في ذلك على أهل ذلك العصر، اختار من القراءات ما وافق خط المصحف، ومن القراء بها ما اشتهرت عدالته، وفاقت معرفته وتقدم أهل زمانه في الدين والأمانة، والمعرفة والصيانة، واختاره أهل عصره في هذا الشأن وأطبقوا على قراءته، وقُصد من سائر الأقطار وطالت ممارسته للقراءة والإقراء، وخص في ذلك بطول البقاء، ورأى أن يكونوا سبعة تأنساً بهذه المصاحف الأئمة، وبقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف من سبعة أبواب))، فاختار هؤلاء القراء

---

٤٤ -وهذا الفصل مهم لا بد للباحث في تاريخ القراءات أن يطلع عليه، ولولا خشية الإطالة لنقلته، انظر له: جمال القراء ٤٣٢/٢، وإبراز المعاني ٨٠/١، والمرشد الوجيز ص٣٦٥.

٤٥ -إبراز المعاني ٩٦/١.

السبعة أئمة الأمصار، فكان أبو بكر – رحمه الله – أول من اقتصر على هؤلاء السبعة، وصنف كتابه في قراءتهم، واتبعه الناس على ذلك، ولم يسبقه أحد إلى تصنيف قراءة هؤلاء السبعة[٤٦].

٢–شبهة تفسير القراءات السبع بالأحرف السبعة.

من الأقوال الواردة في شرح الحديث الأحرف السبعة قول يقول: إنَّ الأحرف السبعة هي القراءات السبع.

وهو وإنْ اتفق العلماء على أنه قول باطل، إلا أنه يبين مدى الخلل لدى كثير من الناس في فهم حديث الأحرف السبعة، وبديهي أنْ يكون هذا الاعتقاد ظهر بعد التسبيع في القراء الذي شهره ابن مجاهد في كتاب السبعة على رأس الثلاثمائة من الهجرة، فكيف يفسر حديث قاله النبي صلى الله عليه وسلم بشيء لم يعرف إلا بعده بزمن طويل.

ولا شك بين أهل العلم أن القراءات السبع شي يختلف عن الأحرف السبعة.

[سبب رواج هذا الاعتقاد]:

وأما سبب رواج هذا الاعتقاد فذلك لأنَّ ابن مجاهد ألف كتاب السبعة فذكر فيه سبعة قراء مع قراءاتهم، واشتهر بين الناس حديث الأحرف السبعة فظنوا أن ابن مجاهد قصد من كتاب السبعة الأحرف السبعة، فاستحكمت لديهم هذه الشبهة وجعلوها اعتقادًا.

وأما قبل ابن مجاهد فلم يكن يعرف هذا القول.

قال الإمام المهدوي[٤٧]: فأما اقتصار أهل الأمصار في أغلب أمورهم على القراء السبعة ...فإنَّ ذلك على سبيل الاختصار..ولقد فعل مسبع هؤلاء السبعة ما لم يكن ينبغي أن يفعله وأشكل على العامة حتى جهلوا ما لم يسعهم جهله، وذلك أنه قد اشتهر عند الكافة قول النبي صلى الله عليه وسلم (أنزل القرآن على سبعة أحرف) ثم عمد هذا المسبع إلى قوم قد اختار كل رجل منهم لنفسه قراءة من جملة القراءات التي رواها...فأطلق عليه التسمية بالقراءات، فأوهم بذلك كل من قل نظره وضعفت عنايته أن هذه

---

٤٦ – جمال القراء وكمال الإقراء ٢/٤٣٢.

٤٧ – بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات ص٥٢–٥٥ باختصار.

القراءات السبع هي التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم (أنزل القرآن على سبعة أحرف) وأكد وهمه ما يراه من اجتماع أهل الأمصار عليها واطراحهم ما سواها.

وذلك لعمري موضع إشكال على الجهال، وليته إذ ذهب إلى الاقتصار على بعض قراء الأمصار واجتهد في الاختيار جعلهم أقل من سبعة أو أكثر، فكان يزيل بذلك بعض الشبهة الداخلة على الأغمار أهـ.

فكلام المهدوي هذا وهو متوفى سنة (٤٣٠)هـ يبين استحكام هذه الشبهة في زمانه فكيف في زماننا هذا.

وقال الإمام الجعبري في قصيدته المسماة «نهج الدماثة»:

وأعضل ذُوا التسبيع مُبْهَم قصده فزلَّ به الجمُّ الغفير فجُهِّلا
وناقضه فيه، ولو صح لاقتدى وكم حاذق قال المسبع أخْطَلا

وأعضل: أتى بأمر معضل مشكل، ذو التسبيع الذي جمع قراءة سبع رجال، وهو الإمام أبو بكر بن مجاهد..ومبهم حال منه، أي لم يعين غرضه في جمعه سبعة أئمةفغلط بسبب إبهامه الخلق الكثير، فنسب إلى الجهل بمراد الإمام ابن مجاهد، وهو أنه تقدمه مثلث ومخمس من غير الرواة، فأراد الزيادة فجعلها على العدة التي وردت في الحديث تبركا بموافقة العدد والمصاحف العثمانية، واقتصارا على روايته فتوهم الأكثر أنه جمع الأحرف السبعة التي وردت في قول النبي صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف كل منها شاف كاف، والمراد بالأحرف اللغات، واستحكمت شبهتهم حتى إن من سمع منهم قراءة غير هؤلاء الأئمة السبعة أو من غير الروايتين قال: شاذة، وربما ساوتها أو كانت أثبت، وأن من حفظ كتابا مختصرا سمى ما عداه شاذا، أي: أتى ابن جاهد بأمر مشكل حيث لم يصرح بقصده فغلط أكثر الناس فنسب إلى الجهل[٤٨].

وقد نقل هذا عن الإمامين ابن الجزري في «منجد المقرئين»[٤٩]، ثم قال: لقد صدق الجعبري فإنّ هذه الشبهة قد استحكمت عند كثير من العوام حتى لو سمع أحد قراءة لغير هؤلاء السبعة أو مِنْ غير هذين الراويين لسماها شاذة، ولعلها تكون مثلها أو أقوى.

---

٤٨ – «خلاصة الأبحاث في شرح نهج القراءات الثلاث» (ص٤٤).

٤٩ – ص ٧١.

إلَّا أنه عاد فاعتذر عن ابن مجاهد بقوله: والحق أنه لا ينبغي هذا القول، وابن مجاهد اجتهد في جمعه فذكر ما وصله على قدر روايته، فإنه لم تكن له رحلة واسعة كغيره ممن كان في عصره. اهـ [٥٠].

أوجه فساد هذا القول:

وقد بين محذورات هذا القول ولوازمه الفاسدة العلامة مكي بن أبي طالب ، ونلاحظ أن مكياً معاصر للمهدوي، فاشتغال هذين الإمامين بتفنيد هذه الشبهة دليل على استحكامها في ذلك العصر.

قال مكي: فأمَّا من ظنَّ أن قراءة كل واحد من هؤلاء القراء كنافع وعاصم وأبي عمرو أحد الحروف السبعة التي نص النبي صلى الله عليه وسلم عليها فذلك منه غلط عظيم لأنَّ فيه :

١-إبطالا أن يكون تُرك العمل بشيء من الأحرف السبعة .

٢-وأن يكون عثمان ما أفاد فائدة بما صنع من حمل الناس على مصحف واحد وحرف واحد.

٣-ويجب منه أن ما لم يقرأ به هؤلاء السبعة متروكا إذ قد استولوا على السبعة الأحرف عنده، فما خرج عن قراءتهم فليس من السبعة عنده.

٤-ويجب من هذا القول أن تترك القراءة بما روي عن أئمة هؤلاء السبعة من التابعين والصحابة مما يوافق خط المصحف مما لم يقرا به هؤلاء السبعة.

٥-ويجب منه ألا تروى قراءة عن ثامن فما فوق لأن هؤلاء السبعة عند معتقد هذا القول قد أحاطت قراءتهم بالأحرف السبعة.

ثم استدل بفعل العلماء العارفين ممن صنف في القراءات قبل ابن مجاهد، كأبي حاتم والطبري وأبي عبيد وإسماعيل القاضي، فبعضهم ذكر عشرين قارئا وبعضهم دون ذلك وبعضهم أكثر من ذلك.

ثم بالغ في الإنكار على معتقد هذا القول، والاستدلال على بطلانه بأوجه كثيرة فقال:

فكيف يجوز أنْ يظن ظان أن هؤلاء السبعة المتأخرين قراءة كل واحد منهم أحد الحروف السبعة التي نص عليها النبي صلى الله عليه وسلم ، هذا خطأ عظيم:

---

٥٠ -منجد المقرئين ص٧١.

١-أكان ذلك بنص من النبي صلى الله عليه وسلم أم كيف ذلك.

٢- وكيف يكون ذلك والكسائي إنما ألحق بالسبعة بالأمس في أيام المأمون، وغيره كان السابع وهو يعقوب الحضرمي، فأثبت ابن مجاهد في سنة ثلاثمائة أو نحوها الكسائي في موضع يعقوب.

٣-وكيف يكون ذلك والكسائي إنما قرأ على حمزة وغيره، وإذا كانت قراءة حمزة أحد الحروف السبعة فكيف يخرج حرف آخر من الحروف السبعة وكذلك إلى وقتنا.

٤-وكذلك يلزم أن تكون قراءة كل واحد من أئمة حمزة أحد الحروف السبعة فتبلغ الحروف السبعة على هذا إلى أكثر من سبعة الآف[٥١].

---

٥١ -الابانة ٢٥-٢٩ باختصار.

٣-العلاقة بين مصحف عثمان رضي الله عنه والقراءات السبع:

لا شك أن موافقة مصحف عثمان رضي الله عنه ركن من أركان القراءات الصحيحة، كما ذكر ذلك عامة من صنف في هذه المسألة من المتقدمين والمتأخرين، كمكي القيسي والمهدوي وابن الجزري[٥٢].

وبما أن القراءات السبع – وكذلك العشر – مما اتفق المسلمون على أنها قراءات صحيحة مستعملة فإنها موافقة لمصحف عثمان رضي الله عنه ، لا تخرج عن رسمه.

فالعلاقة بينهما إذن هي التوافق، وإنما وقع الاختلاف في مدى هذا التوافق، كما سأبينه.

والمقصود من التوافق: موافقة أي نسخة من النسخ الأربعة أو الخمسة أو السبعة التي كتبها عثمان رضي الله عنه، وسيأتي أمثلة ذلك.

٤-مذاهب العلماء في العلاقة بين الأحرف السبعة والقراءات السبع وبيان الراجح :

العلاقة بين القراءات السبع الأحرف السبعة لا تخرج عن قولين[٥٣]:

الأول: أنها حرف واحد من الأحرف السبعة.

قال الداودي وابن ابي صفرة المالكي: السبع واحد من الأحرف السبعة وهو الذي جمع عثمان رضي الله عنه المصحف عليه[٥٤].

قال الحموي: وكذلك قال النحاس وعوَّل عليه مكي والسمرقندي وغيرهما[٥٥].

قلت: وهو اختيار ابن جرير، بناء على مذهبه في الأحرف السبعة، وأنها استبدال كلمة مكان أخرى، والمعنى متفق، كقول أحدهم: هلم وتعال وأقبل..

---

٥٢ – انظر الإبانة، وبيان السبب الموجب لاختلاف القراءات ص٤٨، جمال القراء وكمال الإقراء ٢٣٥/١، والنشر في القراءات العشر ٩/١، ومنجد المقرئين ٦٧، والاتقان في علوم القرآن ٤٩٢/٢.

٥٣ -لأننا أبطلنا القول الثالث الذي يجعل العلاقة بين القراءات السبع والأحرف السبعة التطابق، أي أن الأحرف السبعة هي القراءات السبع، وأهملنا ذكره هنا لأنه قول العوام.

٥٤ – تفسير القرطبي ٤٦/١ ، القواعد والاشارات ص٢٩

٥٥ – القواعد والاشارات ٢٩

فهو يرى (أنَّ الذي اختلف القراء اليوم فيه من القراءات إنما هو كله حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وهو الحرف الذي كتب عليه عثمان المصحف، وأن اختلاف القراء فيما اختلفوا فيه من الألفاظ كلا اختلاف)[٥٦].

وقال: إنَّ عثمانَ بن عفان رحمة الله عليه، جمع المسلمين – ..– على حرف واحد .

وجمعهم على مصحف واحد، وحرف واحد، وخَرَّق ما عدا المصحف الذي جمعهم عليه...فلا قراءة للمسلمين اليوم إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيقُ الناصحُ، دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية.

ثم قال: وأما ما كانَ من اختلاف القراءة في رفع حرفٍ وجرِّه ونصبه، وتسكين حرفٍ وتحريكه، ونقل حرف إلى آخر مع اتّفاق الصورة، فمن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف" – بمعزل [٥٧] أهـ.

القول الثاني: أنها جزء من الأحرف السبعة .

وفرق بين أن تكون القراءات السبع كلها – أو العشر– حرفًا واحدًا، أو أن تكون جزءًا من الأحرف السبعة، فالأول واضح، ولكن على الثاني فإن القراءات السبع – والعشر– احتوت على أحرف عدة، لكنها ليست كل السبعة، وهذه الأحرف متفرقة في القرآن كله.

وأكثر أهل العلم على هذا.

قال العلامة المهدوي في تكملة كلامه الذي نقلنا آنفًا: إن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر الحروف التي نزل عليها القرآن قال: فاقرؤوا ما تيسر منه، فأباح الاقتصار على بعضها ولم يلزمنا القراءة بجميعها فصارت القراءة المستعملة بعد جمع الصحف إلى يومنا هذا على هذا القول بعض الحروف التي نزل عليها القرآن دون كلها .أهـ

---

٥٦ – الابانة ٣٢

٥٧ – جامع البيان ٦٥/١ باختصار.

وقال ابن حبان رحمه الله: وهذه السبعة التي نتداولها اليوم غير تلك بل هذه حروف من تلك الأحرف السبعة كانت مشهورة[٥٨].

قال مكي: إن هذه القراءات كلها التي يقرأ بها الناس اليوم وصحت روايتها عن الأئمة إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووافق بها خط المصحف مصحف عثمان رضي الله عنه الذي أجمع الصحابة فمن بعدهم عليه واطرح ما سواه مما يخالف خطه فقرئ بذلك لموافقة الخط لا يخرج شيء منها عن خط المصاحف التي نسخها عمان رضي الله عنه، وبعث بها إلى الأمصار وجمع المسلمين عليها ومنع من القراءة بما خالف خطها وساعده على ذلك زهاء اثني عشر ألفا من الصحابة والتابعين واتبعه على ذلك جماعة المسلمين بعده، وصارت القراءة عند جميع العلماء بما يخالفه بدعة وخطأ وإن صحت ورويت .

قال: كان المصحف قد كتب على لغة قريش على حرف واحد ليزول الاختلاف بين المسلمين في القرآن ولم ينقط ولا ضبط فاحتمل التأويل لذلك.

وإذا كان المصحف بلا اختلاف كتب على حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن وعلى لغة واحدة والقراءة التي يقرأ بها لا يخرج شيء منها عن خط المصحف فليست اذا هي السبعة الأحرف التي نزل بها القرآن..أهـ[٥٩].

وهذا هو الذي نرجحه في هذه المسألة.

وأما ما ذكره ابن جرير واستدل له، فإننا نلاحظ من سياق كلامه الطويل أنه عرج أولاً على المصاحف فأثبت أنها على حرف واحد، ثم أداه هذا إلى القول أن ما نقرأ به – ما دام أنه يوافق هذه المصاحف ولا يخرج عنها – هو على حرف واحد كذلك.

وقد ردَّ على ابن جرير قولَه هذا مكيُّ بن أبي طالب وقال:

---

٥٨ – البرهان في علوم القرآن ١/٢٢٦.

٥٩ – الابانة ص٢٣

والذي قدمنا من أنَّ ما زاد على قراءة لا تخالف المصحف في كل حرف هو من الأحرف السبعة أصوب عندنا لما ذكرنا من أن عثمان رضي الله عنه لم يرد إذ كتب المصحف إلا لفظا واحدا بكل حرف فما زاد على لفظ واحد فهو من السبعة جازت القراءة به لموافقته لخط المصحف المجمع عليه.

وقد بينا علة كون ما زاد في الحرف على لفظ واحد أنه من الأحرف السبعة لأنه إن لم يكن من السبعة ولا من مراد عثمان رضي الله عنه فهو تغيير بالقرآن لا أصل له ولا معنى فلا بد أن يكون إما من السبعة الأحرف وإما من مراد عثمان وإذا ثبت أن عثمان لم يكتب المصحف إلا على حرف واحد ولفظ واحد فما زاد على ذلك فهو من السبعة بلا شك جاز لنا القراءة به لاحتمال أن يكون عثمان أراده..[٦٠].

وواقع القراءات السبع – بل العشر - يخالف ما ذهب إليه ابن جرير ، كيف وقد تختلف الكلمة الواحدة بينهم فتقرأ على وجهين وأكثر؟!

فإننا نلاحظ أن المصاحف العثمانية مختلفة، وفيها غير وجه من أوجه الاختلاف بين اللغات التي يَذكرها مَنْ ذَهب إلى أنَّ الأحرف إنما هي لغات سبع مفرقة في القرآن.

فنجد فيها التقديم والتأخير، والزيادة والنقصان، فضلا عن اختلاف الإعراب.

إلا أننا نلاحظ كذلك أنَّ عثمان رضي الله عنه أسقط من أوجه الأحرف السبعة الوجه الذي فيه استبدال كلمة بكلمة، نحو(كالعهن المنفوش) و(كالصوف الومنفوش) ، إذ أن هذا الوجه هو الذي يحصل من أجله الاختلاف والتنازع في الغالب، وهذا الوجه هو بعينه الأحرف السبعة عند ابن جرير لا غير.

ولكن عثمان رضي الله عنه اضطر إلى جمع بعض الأحرف والخروج عن الحرف الواحد في بعض الأحيان، فأثبت حرفًا في نسخة وحرفًا آخر في نسخة، فجمع بذلك في مصاحفه العثمانية كلها أكثر من حرف.

فمثلا: كتب في نسخة من المصاحف(ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب) وفي نسخة أخرى (وأوصى).

وكتب في بعض النسخ (وسارعوا إلى مغفرة) وفي بعضها (سارعوا).

---

٦٠ – الابانة ٣٤.

وكتب في بعض النسخ (تجري تحتها الأنهار) وفي بعضها(من تحتها الأنهار).

وكتب في بعض النسخ(فإن الله هو الغني الحميد) وفي بعضها (فإن الله الغني الحميد).

وهذا ولا شك أكثر من حرف.

وأما ما كان يحتمله الخط من لفظين مختلفين في رسم واحد، فقد كتبه عثمان رضي الله عنه ولم يبين مراده، فاحتمل بذلك أكثر من حرف:

مثل قوله تعالى (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) وقراءة (فتثبتوا) فهذا كذلك يخرج القراءات السبع أن تكون على حرف واحد بنفس وجه الاستدلال.

وهذا الصنف في القرآن الكريم كثير جدا.

كقوله (إثم كبير) و (إثم كثير)، وقوله (فأزلهما) و(فأزالهما) و(ننشرها) و(ننشزها).

وسواء منه ما كان فيه اختلاف الكلمة والحروف كما مثلنا، أو اختلاف بنيتها دون صورتها مثل(البخل) و(البخل) و(نعم) و(نعم)، لأن هذا الاختلاف من الأوجه السبعة في اختلاف اللغات كما ذكره أهل العلم.

ولذلك فإن القول بأن القراءات المقروء بها هي حرف واحد فقط من الأحرف السبعة قول بين السقوط، والله تعالى أعلم.

الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

ظهر لي من خلال البحث أن المصاحف العثمانية كتبت على بعض الأحرف السبعة، وليست كلها.

وأن العلاقة بين المصحف العثماني والقراءات السبع هي التوافق وليس التطابق، وأن القراءات هي بعض الأحرف وليست حرفا، ودلالة الواقع تثبت هذا القول.

كذلك وجدنا أن سبب الخلاف في هذه المسألة مبني على اختلافهم في تحديد معنى الأحرف السبعة.

ولهذه الأقوال لوازم بيناها في البحث، ولا يسلم منها إلا القول الذي رجحناه، والله الموفق.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مراجع البحث

الإبانة عن معاني القراءات ، لمكي بن أبي طالب القيسي، دار نهضة مصر للطباعة.

إبراز المعاني من حرز الأماني(شرح الشاطبية)، لأبي شامة، ط الجامعة الإسلامية المدينة المنورة.

الإتقان في علوم القرآن، للعلامة عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ، صيدا، لبنان.

البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ت: أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت.

بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات، للمهدوي، ت: أحمد فارس السلوم، دار ابن حزم ، بيروت.

التبيان في آدام حملة القرآن، للإمام النووي، دار الكتب العلمية ودار الباز، مكة المكرمة.

تفسير ابن كثير،(تفسير القرآن العظيم)، لأبي الفداء بن كثير الدمشقي، دار الفكر، بيروت.

تفسير الطبري، (جامع البيان في تأويل آي القرآن)،تحقيق شاكر، مؤسسة الرسالة.

تفسير القرطبي، (الجامع لأحكام القرآن)، للإمام القرطبي، دار الكتب العلمية.

جمال القراء وكمال الإقراء، لعلم الدين السخاوي، ت علي البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة.

حرز الأماني ووجه التهاني، الشاطبية، للإمام الشاطبي، تحقق تميم الزعبي، المدينة المنورة.

خلاصة الأبحاث في شرح نهج القراءات الثلاث، للإمام الجعبري، مصر.

السبعة، لأبي بكر بن مجاهد، ت: شوق ضيف، دار المعارف، مصر.

شرح مشكل الآثار، للإمام الطحاوي، دار الكتب العلمية.

شعب الإيمان ، لأبي بكر البيهقي، ت محمد السعيد، دار الكتب العلمية بيروت.

غاية الاختصار، لأبي العلاء الهمذاني العطار، جمعية القرآن الكريم، بجدة.

غاية النهاية في معرفة القراء، للإمام ابن الجزري، ت براجستراسر، دار الكتب العلمية بيروت.

فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: مجموعة، دار ابن كثير، دمشق.

فضائل القرآن، للمستغفري، ت أحمد فارس السلوم، دار ابن حزم، بيروت.

القواعد والإشارات، للحموي ت عبدالكريم بكار، الرياض.

مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع ابن قاسم وابنه، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة.

المحتسب في شواذ القراءات، لابن جني، دار الكتب العلمية.

المرشد الوجيز، لأبي شامة، تحقيق د. الطبطبائي، الكويت.

المصاحف المنسوبة للصحابة، تأليف محمد الطاسان – رسالة علمية– ط تبيان، الرياض.

المصاحف لابن أبي داود، تحقيق واعظ، دار البشائر، بيروت.

معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، ت: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت.

مفردات غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ت صفوان داوودي، دار القلم ، دمشق.

المقنع في رسم مصاحف الآثار، لأبي عمرو الداني، ت قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية.

مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، دار الفكر ، بيروت.

منجد المقرئين، للإمام ابن الجزري، دار الكتب العلمية.

النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ت الضباع، دار الكتب العلمية.

الوسيلة إلى كشف العقيلة، لعلم الدين السخاوي، ت مولاي الطاهري، مكتبة الرشد ، الرياض.